منهج القرآن الكريم في توجيه الآباء لتربية الأبناء "وصية لقمان أنموذجًا".

The Holy Qur'an's Approach to Parental Guidance in Raising Children "Luqman's Advice as a Model".

✍اسم ولقب المؤلف: سعد محمد صالح آدم.

الدرجة العلمية والوظيفة: ماجستير تفسير وعلوم قرآن كريم – كلية أصول الدين عضو هيئة تدريس متعاون مع جامعة بنغازي.

البريد الإلكتروني: Saad bosaleh 67@gmail.com

تاريخ استقبال البحث: 2025/11/03م، تاريخ القبول: 2026/01/19م

الملخص باللغة العربية:

مما لا يخفى على أحد ما باتت تعانيه اليوم أمتنا المسلمة من انحدار في المنظومة التربوية، نتج عنه انسلاخ عن الهوية وانتكاسة خطيرة في الفطرة السوية، خاصةً في أوساط شبابها ذكورًا وإناثًا لأسباب كثيرة ومتباينة، منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي، وتفاقم الأمر في السنوات القلائل الأخيرة، فاتسع الفتق وتعمقت الهوة، بسبب ذلك الانحدار الخطير في أخلاق أجيالنا الناشئة الذي تلاشت معه أبسط معايير الشريعة الغراء على مستوى الأفراد والجماعات، ذلك الانحدار الذي أذكى ناره الإعلام الفضائي، ووسائل التواصل الاجتماعي الإلكترونية الحديثة، ونفخ فيه كير الأعداء من ذوي المصالح على كل المستويات المحلية والدولية، وهو أمر يعكس بوضوح مدى ابتعاد الناس اليوم عن منهج الإسلام وتعاليمه، كما يعكس مدى غياب دور القرآن الكريم في تربية النشء، لذلك جاءت فكرة هذا البحث في محاولة للإسهام في سد هذه الثغرة، وعلاج هذه الأزمة، باعتبار أن التربية

الصحيحة تعد منطلقًا بنيويا يحدد ملامح المجتمع المسلم، وذلك باستخلاص الوسائل والآليات التي استخدمها القرآن الكريم؛ لكي يستفيد منها الآباء والأمهات في تربية أبنائهم.

الكلمات المفتاحية: لقمان الحكيم، الحكمة، الوصايا، التربية.

Research summary:

It is no secret that our Muslim nation is suffering today from a decline in the educational system. This has resulted in a severance of identity and a serious setback in sound nature, especially among its youth, both male and female, for many diverse reasons, some internal and some external. The situation has worsened in recent years, with the rift widening and the chasm deepening due to this dangerous decline in the morals of our emerging generations, with the simplest standards of the noble Sharia disappearing at both the individual and collective levels. This decline has been fueled by satellite media and modern electronic social media, and fanned by the bellows of enemies with vested interests at all levels, both local and international. This clearly reflects the extent to which people today have strayed from the path and teachings of Islam. It also reflects the extent to which the Holy Qur'an plays a role in raising children. Therefore, the idea of this research is an attempt to contribute to bridging this gap and addressing this crisis, considering that proper upbringing is a prophetic starting point that defines the features of Muslim society. This is achieved by extracting the means and mechanisms used by the Holy Qur'an for parents to benefit from. And mothers in raising their children.

Keywords : Luqman the Wise, wisdom, commandments, education.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمد الشاكرين الذاكرين نحمده سبحانه وتعالى حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، عدد خلقه وزنة عرشه، ورضاء نفسه، ومداد كلماته، والصلاة والسلام

الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغرّ الميامين صلاة وسلامًا دائمين متلازمين أبدًا سرمدًا في الأولين والآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

وبعد..

لقد اقتضت رحمة الله بعباده أن لا يتركهم في ظلمة الليل سرمدًا، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم، واقتضت حكمته أن لا يتركهم في ظلمة الجهل والغي، بل هداهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم، من خلال القرآن الكريم معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة، القرآن الذي رفض المشركون الإيمان به، وإنما فهموه حق الفهم، وأدركوه حق الإدراك، وأعجزتهم بلاغته وفصاحته وبيانه، فلم يجدوا حجة لكفرهم به إلا قولهم إنه سحر أو إنه شعر أو إنه أساطير الأولين، وذلك لقوة تأثيره عليهم وعلى عقولهم، وحسبنا قول زعيم بني مخزوم الوليد بن المغيرة عن القرآن بعد ما سمعه يتلوه رسول الله صلى الله عليه وسلم "لقد سمعت محمدًا آنفًا يقول كلامًا وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وأسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه".[1]

لذلك يجب أن يدرك الآباء المسلمون في كل عصر ودهر، أن القرآن الكريم ومنهجه في التربية هو كتاب أبناءهم، وصراطهم وسلاحهم وزادهم دينا ودنيًا، وروحًا وجسدًا، وأنهم من دون هذا المنهج لا يصلحون ولا ينجحون ولا يفلحون، وأن كل معارفهم وشهاداتهم مهما عظمت وكثرت، هي غثاء كغثاء السيل، لا خير فيها ولا نفع بها، إلا إذا كان القرآن معها نوراً وظلاً وحمى.

سبب اختيار البحث:

تعد غفلة أولياء الأمور عن متابعة أبنائهم السبب الرئيس لاختيار هذا الموضوع، الذي يعد هو سؤاله المحوري.

أهمية البحث:

1 صفي الدين المبارك فوري، الرحيق المختوم، ط1، ص79، الجامعة السلفية، الهند، 1976م.

يرى الباحث أن الانحلال الأخلاقي والتفسخ القيمي في المجتمع المسلم اليوم سببه التقاعس وإهمال الآباء لتربية الأبناء، وتركهم فريسة للمواقع الإلكترونية عبر وسائل التواصل الحديثة دون رقابة وتوجيه، وتفاديا لذلك لابد من تفعيل وإعادة إحياء الدور التربوي الغائب للقرآن الكريم.

الهدف من البحث:

حث الآباء ودعوتهم إلى إحياء دور القرآن الكريم في تربية أبنائهم على نهج شرعي قويم.

الدراسات والبحوث السابقة:

1. وصايا لقمان العقدية والدعوية لابنه في سورة لقمان، دراسة بلاغية تحليلية، أ.د. غالب محمد محمود الشاويش، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، العدد (3). 2017م جامعة مؤته. الأردن
2. وصايا لقمان لابنه في القرآن الكريم الدلالات والآثار، د. جعفر عايد دسه، كلية العلوم الإسلامية فلسطين. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث المجلد الثالث العدد (7). 2003م
3. وصايا لقمان في القرآن الكريم وأثر العمل بها، دراسة موضوعية، أ. ابراهيم ماهر عيد علي.

مجلة الدراسات العربية جامعة المنيا كلية دار العلوم. العدد (36) المجلد (5). 2017م

4. الجوانب التربوية لوصايا لقمان الحكيم وأثرها على سلوكيات الأفراد، خليفة أكرم عبد، مجلة الجامعة العراقية. المجلد (1) العدد (35). 2016م.

ولكن الملاحظ أن كل هذه البحوث مختلفة عما قصد إليه هذا البحث، حيث إن هذا البحث يركز بشكل واضح على دور الآباء في تربية أبنائهم وفق منهج القرآن الكريم، وتلك البحوث عُنيت بالجوانب التربوية بشكل عام دون التركيز على دور الآباء, ذلك الدور الذي يعد هو المحور الرئيس لهذا البحث .

منهج البحث:

هذا البحث ومن خلال عنوانه وموضوعه يعد من الدراسات التي تتعلق بالعلوم الإنسانية، والذي يعد مجال التجريب فيها ضيقًا ومحدودًا، لذا تم اعتماد المنهج الاستقرائي الذي يخلص من الكليات المعرفية إلى الجزئيات منها.

تقسيم البحث:

نظراً لأهمية هذه الوصية الثمينة موضوع البحث والتي اشتملت على العقائد والعبادات والأخلاق، تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مطالب، يتناول كل واحد منها جانب من جوانب الوصية على النحو التالي/

المطلب الأول: الجانب العقدي.

المطلب الثاني: الجانب التعبدي.

المطلب الثالث: الجانب الأخلاقي.

ثم أختُتم البحث بخاتمة وجملة من النتائج والتوصيات.

المطلب الأول: الجانب العقدي:

ورد في الآيات الكريمة أخبار عن وصية لقمان لابنه، وكان من جملة تلك الوصايا ماهو متعلق بالجوانب العقدية والتعبدية والأخلاقية، وذلك في قوله تعالى :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِابْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿12﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِۖ أَنُ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَۖ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿13﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿14﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿15﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿16﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿17﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿18﴾ ﴾ (الآيات: 11-18) سورة لقمان

من هو لقمان؟ وما عمله؟

عن سعيد بن المُسيب رضي الله عنه قال: "كان لقمان من سودان مصر، أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة، وقد جاء رجل إلى سعيد بن المُسيب رضي الله عنه يسأله فقال سعيد: لا تحزن من أجل أنك أسود، فإنه من أخير الناس ثلاثة من السودان، بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب، ولقمان الحكيم، وكان أسودًا نبويًا أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة"[1]

وكذلك ذُكر أن لقمان كان من الحبشة وكان يعمل نجارًا.

"عن خالد الربعي قال: كان لقمان عبدًا حبشيًا نجارًا، فقال له مولاه يومًا اذبح لنا هذه الشاة وأخرج أطيب مضغتين فيها، فأخرَج اللسان والقلب، ثم مكث ما شاء الله ثم قال له، اذبح لنا هذه الشاة وأخرج أخبث مضغتين فيها فأخرَج اللسان والقلب، فقال مولاه: أمرتك أن تُخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما، وأمرتك أن تُخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما، فقال لقمان: إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبُثا"[2]

لذلك وصِفَ لقمان بالحكمة وعُرف بها، ومن المعلوم أن كل لبيب حكيم يود نقل حكمته لمن يحب من أسرته، وبخاصة الأبناء، فلذات كبده وثمرات فؤاده قال تعالى: ﴿ وَالذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴿74﴾ ﴾ (الفرقان: 74)

والمحبة هي أنجح وسيلة لاقتلاع الشرور من النفوس، وإذا تأكدت بين قوم حل بينهم الصفاء، ومضوا في طريق الارتقاء، وأصبحوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

فكيف إذا كانت المحبة بين أفراد الأسرة، لأصبح عيشهم في الدنيا أشبه بعيش أهل الجنة في جنتهم، ولو تمت المحبة في الأسرة لانتفع الولد بالوالد والصغير بالكبير والضعيف بالقوي والعكس.

[1] - من وصايا القرآن الكريم. محمد البلتاجي. دار القاهرة. ط3. 1997م (1/ 24)

[2] - من وصايا القرآن الكريم. (1/ 27)

ولا يجد الإنسان سلوى لنفسه، ولا نعيما لقلبه إلا نجاح من يحب، ومن أكبر حبًا في قلب الإنسان المسلم بعد الله والدين والوالدين إلّا الأبناء، والوصية للابن أثمن وأغلى ما يملكه الأب ويبذله لابنه، لذلك تجده يختار لها أفضل المفردات والألفاظ والجمل، ويرتبها في سياق مناسب لمقام الوعظ والإرشاد؛ ولأن كل أب يتمنى أن يكون ابنه أحسن منه حالاً، ويتمنى أن يُعوض فيه ما فاته من خير، لذلك وعظ لقمان ابنه، والوعظ هو التذكير بمعلومة لدى المخاطب مخافة أن ينساها، وهو ما وقع للقمان الحكيم مع ابنه فقد ورد أنٍ " لقمان الحكيم كان له ولد مشرك يدين بدين قومه، ولما فتح الله على لقمان بالحكمة والتوحيد، أبى ابنه متابعته بادئ الأمر فأخذ يدعوه بالحكمة والموعظة الحسنة حتى دان بالتوحيد"[1] وقد عُدَّت وصية لقمان من الوصايا التربوية الكافية الشافية الوافية الواصلة بين الوالد والولد.

وفي بيان معنى الفعل (وصى) " يقال: وصِيَتْ الأرض، أي اتصل نباتها، ووصَّاه توصية إذا عهد إليه بشيء، وأوصى له بشيء جعله له"[2]

الدعوة إلى التوحيد:

"وهو الأصل في كل الأديان السماوية كافة، لأن صلاح الاعتقاد أصل العمل، ويقوم التوحيد على كلمة لا إله إلا الله، التي قامت عليها الأرض والسماوات، وخُلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نُصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار، فهي منشأ الخلق والأمر، وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نُصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جُردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعلى الإيمان بالله جل جلاله يقوم الكفر بالطاغوت"[3]

[1] - تفسير التحرير والتنوير. الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر (1/ 154) 1984م

[2] - تاج العروس، مرتضى الزبيدي. تحقيق: مجموعة محققين، فصل الواو والصاد (40/ 208)

[3] - تفسير جامع البيان، أبي جرير الطبري (3/ 18) مؤسسة الرسالة. ط1. 2000م

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اِسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ اِلْوُثْقَىٰ لَا اَنفِصَامَ لَهَاۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿255﴾﴾ (البقرة: 255)

وقد بدأ لقمان وصيته بقوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِۖ إِنَّ اَلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿12﴾﴾ (لقمان: 12)

فالياء هنا للنداء لكي يستحضر ذهن ولده، وبالتالي يعي كلامه، وبني: تصغير ابني كناية عن العطف والشفقة والحب، وفيه حث على الامتثال للموعظة وقبولها، وقوله لا تشرك بالله، يفيد إثبات وجود الله، وإبطال أن يكون له شريك في ألوهيته، وجملة ﴿ إِنَّ اَلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ تعليل (مقدر) للنهي عن الشرك وتهويل لأمره، "فالشرك ظلم لحقوق الخالق، وظلم من المرء لنفسه حين يضعها في حضيض العبودية لأخس الجمادات من الأوثان والأصنام أو أي معبود غير الله جل وعلا، والإيمان هو التصديق بالجنان، والإقرار باللسان والعمل بالأركان"[1]

فكيف يستقيم الأمر لإنسان يترك عبادة من خلقه وقدّره وضمن رزقه، وبيده حياته وموته، وغناه وفقره، وصحته ومرضه، خلقه في أحسن تقويم، وجعل له سمع وبصر وفؤاد، وهو يعطلها ولا يُعملها في التأمل والتفكير والتدبر في هذا الكون وما يحويه من خلق عجيب، وصنع بديع، مسخّر لخدمته وسعادته، ذلل له الأرض وآلان له الحديد، أسقاه من بركات السماء، وأطعمه من بركات الأرض، جعل له دروب في البر والبحر، وجعل له الشمس والقمر ضياءً؛ ليعلم عدد السنين والحساب قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ اَلْجِنِّ وَالْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَاۗ أُوْلَٰٓئِكَ كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُلْغَٰفِلُون ﴿179﴾ ﴾ (الأعراف: 179)

إن الإنسان الذي لا يستغل هذه الحواس التي حباه الله بها هو كالحيوان، بل هو أقل من ذلك، كما أخبر ربنا جل وعلا، لذلك خشي لقمان على ابنه من هذا المصير فقال: يا بني، ولم

[1] - شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد صالح الدمشقي، تحقيق أحمد شاكر وآخرون. ط1. (332/1). دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة. 2005م

يقل: يا ابني، فصغره تصغير تلطّف وترقيق، ولكي يوحي له أنك لا تزال في حاجة إلى نصائحي، وإياك أن تظن أنك كبرت فاستغنيت عني.

"والإيمان بوحدانية الله قمة العقائد، لذلك بدأ لقمان بها نصيحته لولده، وأراد منه أن يتعقل ويتأمل، لأن الله كرّمه على سائر مخلوقاته، لكي يعلم أن الشرك ظلم، لأنه يعني نقل الحق إلى الغير، وقمة الظلم ومنتهاه أن تأخذ حق الله وتعطيه لغير الله"[1]

وتوحيد العبد لربه يجب أن يكون أول مهمات الآباء والمعلمين والدعاة، ولا خير في علم أو عمل أو سلوك يحسنه الإنسان وهو مشرك بالله غيره في عبادته، ولم يتجه لله وحده بدعائه وخوفه ورجائه الرشاد والسداد، وباستعانته وسؤاله الهداية والمغفرة، والامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِّ ﴿56﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِّ ﴿57﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿58﴾ ﴾ (الذاريات:56-58)

والشرك أعظم ذنب عُصِيَ الله به، وليس هناك أضل من فاعله، وأنه مخلّد في النار إن مات قبل توبة، لا نصير له ولا حميم ولا شفيع يطاع. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْماً عَظِيماً ﴿47﴾ ﴾ (النساء: 47)

والمشرك هو من جعل لله ندًا أو شريكًا في ألوهيته، فهو مبطل للأعمال ومانع لقبولها. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿89﴾ ﴾ (الانعام: 89)

فكل اعتقاد أو قول أو عمل صرف لغير الله فهو شرك وكفر.

(وقد روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما نزل قوله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿83﴾ ﴾ (الانعام: 83)

شقّ عليهم ذلك وقالوا أينا لم يُلبس إيمانه بظلم؟

فقال صلى الله عليه وسلم: إنه ليس بذلك ألم تسمعوا قول لقمان يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)[2]

---

[1] - تفسير الشعراوي. مطابع أخبار اليوم. (19/1637). ط1. 1997م

[2] - فتح الباري. شرح صحيح البخاري. كتاب الإيمان. باب ظلم دون ظلم (1/109) دار طوق النجاة. ط1. 1422م

أي أن الظلم ليس معناه الخطيئة أو السيئة، وإنما معناه الشرك بالله في هذه الآية، ونقيض الشرك الإيمان، الذي له أركان ستة، ولا يُطلق على أحد أنه مؤمن إلا إذا آمن بهذه الأركان مجتمعة، والتي لزم كل مسلم أن يعلمها من الدين بالضرورة ولا يعذر أحد بالجهل بها .

أركان الإيمان:

لا يصح إيمان ولا يقبل إلا بالتصديق بأركان الإيمان جميعا، وقد جاءت نصوص من القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة تحدد هذه الأركان.

فمن القرآن قول الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ (البقرة: 284)

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًاۢ بَعِيْدًا ﴿135﴾ ﴾ (النساء: 135)

ومن السنة المطهرة ما جاء في حديث جبريل عليه السلام حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن الإسلام والإيمان والإحسان.

(فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت)[1]

وللإيمان أركان ستة :

1- الإيمان بالله:

يجب على كل مسلم الإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته، وأنه متصف بكل كمال يليق به سبحانه، فكمالاته جل وعلا غير متناهية ولا يحصيها عد ولا يحيط بها علم، وأنه جل جلاله منزّه عن كل صفات النقص.

والإنسان إذا تأمل في نفسه وفي الكون من حوله، شعر بوجود قوة خفية تسيّر هذا الكون وتنظّمه، وأن الإنسان دائمًا في حاجة ماسة لمعونة ومساعدة هذه القوة، هذا الشعور

[1] - صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب بين الإيمان والإسلام والإحسان. سلم بن الحجاج. تح: محمد فؤاد. دار إحياء الكتب العربية بيروت. حديث رقم: 93. ط1. 1991م

الداخلي هو نداء الفطرة التي أودعها الله في كل إنسان؛ ليصل من خلالها إلى معرفة وجود الله سبحانه وتعالى، ولا يحجب هذه الفطرة إلا البيئة الفاسدة وسطوة السلطان أو الجاه أو المال أو الأهواء أو التقليد الأعمى.

"فأصل الإيمان في القلب، وبه يدخل في الإسلام، وبه يكون اعتبار سائر الأعمال، وبصلاح ما في القلب وفساده يكون صلاح الأعمال أو فسادها، والإيمان تصديق وحب وانقياد"[1]

وإذا داهم الإنسان خطر لن يجد أمامه إلا الله يستغيث به. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيباً إِلَيْهِ ﴾ (الزمر: 9)

كذلك على الإنسان أن يُعمل عقله وما حباه الله به من حواس، فمن البديهي أن لكل مصنوع من صانع، ولكل أثر مؤثر، فإذا ما تدبّر الإنسان في هذا الكون، وما هو عليه من نظام دقيق بديع، لابد وأن يصل إلى أن له خالقًا حكيمًا عليمًا، وأن هذا الخالق هو الله الذي لا يُعبد بحق سواه، ويستحيل أن تكون الطبيعة هي التي أوجدت هذا الكون، إذ لا عقل لها ولا تدبير، وهذا شرك وظلم عظيم من المخلوق للخالق، وظلم المخلوق لنفسه، لأنه عطل عقله، ولم يُعمله كما أراد الله سبحانه له حين خلقه في أحسن تقويم، وجعله خليفته في أرضه.

2- الإيمان بالملائكة:

وهو الركن الثاني من أركان العقيدة، وقد ورد طلب الإيمان بهم في القرآن الكريم، كما جاء في سورة البقرة، وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم، كما في حديث تعليم جبريل عليه السلام الأمة أمور دينها.

ويلزم المسلم الإيمان بوجود الملائكة، ومنكر وجودهم كافر، لأنه أنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة، كما يجب الإيمان أن عدد الملائكة لا يعلمه إلا الله، وبأن الملائكة مخلوقات من نور، وبأنهم لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ولا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحون ولا يتوالدون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

[1] - أثر الإيمان في تحصين الأمة ضد الأفكار الهدامة. عبدالله عبدالرحمن الجربوع. ط1. ص 191. الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة. 2003م

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ (التحريم: 6)

3- الإيمان بالكتب السماوية:

وهو ثالث أركان العقيدة الإسلامية، حيث يجب الإيمان بأن الله أوحى إلى رسله كتبًا يبلغونها إلى من بعثوا إليهم، تدعوا إلى توحيد الله وتهدي إلى الحق.

" والكتاب السماوي هو: كلام من كلام الله تعالى فيه هدى ونور يوحي به الله إلى رسول من رسله ليبلغه للناس، وليكون المرجع للأمة في كل أمورها واختلافاتها مهما تعاقبت العصور، يحدد لهم عقائد الدين وأسسه يرجعون إليه؛ ليتبينوا أحكام شريعتهم"[1]

وقد ذُكرت هذه الكتب في القرآن الكريم وهي صحف إبراهيم وموسى وإنجيل عيسى وزبور داوود والقرآن الكريم.

4- الإيمان بالأنبياء والرسل:

فضّل الله الإنسان على كثير من خلقه، ووهبه العقل ليستنير به في هذه الحياة، ولكنه لا يستطيع أن يكتفي بعقله وحده؛ لقصوره عن وضع قواعد العدل التي تنظم الحياة، وتجدد علاقة العبد بربه، والعلاقة السوية بين الأفراد والجماعات في المعاملات، لذلك اقتضت حكمة الله أن يرسل رسلًا؛ ليبينوا لنا قواعد العدل التي يتم بها نظام العيش في الدنيا، كما أننا محتاجون إليهم ليخبرونا عن أحوال عالم الغيب الذي لا يمكن لنا أن نُدركه بعقولنا وحواسنا، ونحتاج إليهم أيضا في تفصيل التكاليف الربانية التي كلفنا الله بها من عقائد وعبادات ومعاملات، لذلك كان الركن الرابع من أركان الإيمان وجوب أن نؤمن بأن الله قد أرسل رسلًا مبشرين ومنذرين في مختلف العصور والأمكنة، بدءًا بآدم عليه السلام وانتهاء بسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.

5- الإيمان باليوم الآخر:

كما يجب على المسلم الإيمان بأن هناك يوم يُبعث فيه الأموات من قبورهم، ويُحاسبون فيه على أعمالهم، فإن كانت صالحة كان مصيرهم الجنة، وإن كانت غير ذلك فإن مصيرهم

[1] - العقيدة الإسلامية وأسسها. عبدالرحمن حسن حبنكه. دار القلم. دمشق. ط 6. ص: 266. 1992م

النار، وأن هناك حياة أخرى بعد الموت، وهي حياة لا موت فيها ولا فناء، بل خلود في الجنة أو خلود في النار، وأن هذا اليوم آتٍ لا محاله، ولكن لا يعلم وقته إلا العليم الخبير. قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿280﴾ (البقرة: 280)

6- الإيمان بالقضاء والقدر:

وهو الركن السادس من أركان الإيمان حيث يجب على كل مسلم أن يؤمن بأن الله سبحانه يعلم جميع أفعال الناس قبل وقوعها، وجميع ما يتعلق بالمخلوقات، ما كان وما هو كائن وما سيكون، وأن يؤمن بأن كل ما يحدث في هذا الكون إنما هو بإرادة الله وقدره، وليس أمام المسلم إلا الرضا والقبول والصبر، فلا يسخط ولا يضجر، مما يُخيل إليه أنه مكروه، بل يقول كما أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم(وإن أصابك شيء فلا تقل كذا وكذا، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)[1]

هذا ما قصد إليه لقمان في وصيته لولده، مما جعله يقتنع بما سمع ويخرج من ظلمات الجهل والشرك إلى نور التوحيد والهداية، وأُنزل بشأن هذه الوصية قرآنا يُتلى إلى يوم القيامة؛ لتكون هديًا ونبراسًا لكل أب في حماية ولده من موجات وحملات التنصير والكفر والإلحاد التي يروِّج لها أعداء الأمة، بكل الوسائل وشتى الطرق الخفية والمعلنة.

المطلب الثاني: الجانب التعبدي:

العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة، كالعبادات المفروضة من صلاة وزكاة وصوم وغيرها، وكذلك القيم والأخلاق، كالصدق والوفاء والأمانة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الأرحام والإحسان إلى الجار والدعاء والذكر، وأمثال ذلك من العبادات.

"والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته، وكمال الذل ونهايته، فالمعبود الذي لا يُعظّم ولا يُذل له لا يكون معبودًا، والمعظّم الذي لا يُحَب لا يكون معبودًا"[2]

ومن هذه القيم التي حض عليها الإسلام :

[1] - صحيح مسلم. كتاب القدر. باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله (4/ 2664)

[2] - التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية، ط 2، ص 63، المطبعة السلفية. القاهرة 1399هـ

1- بر الوالدين والإحسان إليهما:

على المولود شكر الله أولًا ثم الوالدين، وذلك ببرهما وصلتهما وطاعتهما في غير معصية الله ورسوله؛ لأنه سيرجع إلى الله، وأن الله سبحانه سيُكرم المطيع البار لوالديه، ويُهين العاصي لهما ويعذّبه. قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ۖ أَنُ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ۖ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿13﴾ ﴾ (لقمان: 13)

أي عهدنا إلى الإنسان ببر والديه، أبيه وأمه، وذلك ببذل المعروف لهما، وكف الأذى عنهما وطاعتهما في المعروف، خاصة الأم التي حملت جنينها في بطنها ضعفًا على ضعف، وشدة على أخرى، وهي آلام وأتعاب الحمل والطلق والولادة والارضاع، لهذا تأكد برها فوق بر الوالد مرتين، وقد ورد في الحديث: (من أحق الناس بصحبتي؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أبوك)[1]

وفي الوصية بحسن صحبة الوالدين ورد قوله تعالى :

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿14﴾ ﴾ (لقمان: 14)

إن بذل الوالدين جهدهما في حملك على أن تشرك بالله ما ليس لك به علم فلا تطعهما، حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وإن كانا الوالدين، ومع ذلك قدّم لهما كل ما يحتاجان إليه من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وفراش وغطاء ودواء وحسن معاملة وغيره، بكل رفق ولطف ولين.

﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿15﴾ ﴾ (لقمان: 15)

يوصي لقمان ابنه في هذه الآية بعدم الاستهزاء بالعمل مهما صغر في عينه، وإن يك وزنه حبة من خردل، خيرًا أو شرًا، حسنة أو سيئة، فإن الله يُحَاسب عليها العبد، لذلك عليك فعل الطاعات والصالحات، واجتناب السيئات والثقة في جزاء الله العادل.

[1] - صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب بر الوالدين وأنهما أحق به (4/ 1974 /2548)

ولكن من المؤسف ما نراه اليوم من تعامل كثير من الأبناء مع والديهم، فكم من والد أخلص في تربية أبنائه، وأتعب نفسه، وأنهك جسده أيامًا مديدة وسنين عديدة، حتى أصبحوا رجالًا يافعين وبنات يافعات، منتظرًا منهم معاملة حسنة، ولكنه قوبل برميه في دار العجزة عند شيخوخته التي يكون فيها بأمس الحاجة للرعاية والكفالة، وكم من متزوج فضل زوجته المصون على أمه التي حملته وأنجبته وأرضعته، وسهرت على راحته ليال طويلة، وقدمت له الغالي والرخيص، ووفرت كل متطلباته، أين هؤلاء من قول الله جل وعلا:﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾(الاسراء: 23)

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (رغم أنف من أدرك والديه أو أحدهما ولم يدخلاه الجنة)[1]

2- إقامة الصلاة:

على الآباء والأمهات الاهتمام بالأولاد والبنات، فيرشدوهم إلى الخير ويحذروهم من الشر، فهم المسؤولون عنهم بحكم أبوتهم، وكبر سنهم، وكثرة خبرتهم في الحياة، فهم أعلم بمضارها ومنافعها، وصدق رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في قوله: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[2]

والولد إما أن يكون شاهدًا يوم القيامة لوالديه أو شاهدًا عليهما، لذلك وجّه لقمان ابنه بعد توحيد الله وأفراده بالربوبية والألوهية إلى إقامة الصلاة ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: لأنها عماد الدين ونور المؤمن وسلاحه، وهي التي من خلالها يناجي العبد ربه مستغفرًا من ذنب أو مستفرجًا لكرب، أو مستعينًا بالله على أمر من أمور دنياه وأخرته.

(فالصلاة عماد الدين من أقامها أقام الدين ومن تركها هدم الدين)[3]

وهي الركن الثاني من الإسلام بعد الشهادتين ولا خير في عمر ولا عمل بلا صلاة، فال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿102﴾﴾ (النساء: 102)

3- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

---

[1] - صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب رغم أنف من أدرك أبويه (4/ 1978/ 2551)

[2] - صحيح البخاري. كتب الجمعة. باب الجمعة في القرى والمدن. 853

[3] - سنن الترمذي. تح: أحمد شاكر. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. حديث رقم: 2616. ط 2. 2019م

ومن الجوانب التعبدية أيضًا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بأمر صريح من الله سبحانه لعباده في كتابه العزيز حيث قال: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿104﴾ ﴾ (آل عمران: 104)

فمن أراد أن يجعله الله تبارك وتعالى من المفلحين في الدنيا والآخرة، فعليه بالأمر بكل ما يُرضي الله ورسوله، وأن ينهى عن كل ما يُغضب الله ورسوله، وبذلك يأتي توجيه لقمان لولده، لإصلاح المجتمع، وتزكيته بالأمر بالمعروف بين أعضائه من رجال ونساء وشيوخ وشباب، والنهي عن المنكر، كي يستقيم أمرهم، ويستوي كيانهم قويًا سويًا، لا يبغى منهم أحد على أحد، ولا يظلم منهم حاكم محكوم ولا والد ولد، ولا غني فقيراً، ولا قوي ضعيفاً، ولا عزيز ذليلاً، ولا كبير صغيراً،

فبذلك الأمر يصلح الأفراد والأسر والجماعات، ومن دونه تتردى وتتهاوى، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَۚ ﴿80﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَۚ ﴿81﴾ ﴾ (المائدة: 80، 81).

ولم ينس لقمان وهو يوصي ابنه بمهمة المربين والمصلحين، مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأنه سيواجه المتاعب والمصاعب فهو ديدن الأنبياء والمرسلين، والدعاة إلى رب العالمين، لأنها مهمة شاقة يصحبها الكثير من أذى الناس وسخريتهم واستهزائهم، فيردف ذلك بالصبر في قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِۚ ﴿16﴾ ﴾ (لقمان: 16).

والصبر سواءً كان على متاعب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو كان على ما يُبتلى به الإنسان من مصائب في نفسه وأهله وماله، مطلوب وموعود عليه بالخير والأجر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿154﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَۚ ﴿155﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَۚ ﴿156﴾ ﴾ (البقرة: 154 -156).

والصبر على الأخوة والاهتمام بهم وبشؤونهم، والصبر على الجيرة والرفاق في الوظيفة، والمسجد والسوق، وفي كل مكان من المجتمع الذي يعيش فيه، ومناصحتهم وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

"وألا يتنصّل المسلم من المسؤولية الاجتماعية مع من يعايشهم ويرافقهم ويتعامل معهم، فلا يدعوهم إلى الخير، ولا يطالبهم بالحق، ولا يأمرهم بالمعروف، ولا ينهاهم عن المنكر، ولا يسعى في إسعادهم وإنجادهم على قدر ما يستطيع"[1]

المعلم مع متعلميه، والوالد مع أولاده، والرئيس مع مرؤوسيه، والإمام مع مأموميه، والقائد مع جنوده، فلا يتضجّر ولا يتذمر ولا ييأس، بل يسدد ويقارب ويصبر ويحتسب.

المطلب الثالث: الجانب الأخلاقي:

إذا تأملنا في وصية لقمان لابنه، وجدناها منهج كامل واجب الإتباع والتطبيق من الآباء مع أبنائهم ذكورًا وإناثًا، وكذلك على المعلمين والدعاة والمصلحين والحكام، نحو رعيتهم وتلامذتهم، وكل من يعضونه وينصحونه ويؤدبونه ويعلمونه.

والآباء خاصة واجبهم كبير عظيم نحو أولادهم، لأنهم رعاتهم والمسؤولون عنهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ (التحريم: 6)

ووقاية الآباء والأمهات لأهلهم من أبناء وبنات من النار، لن يتحقق إلا بالسير على المنهج الرباني في التعامل مع الناس بمكارم الأخلاق، وذلك من خلال:

1- التواضع:

أوصى لقمان ابنه بالتواضع وألا يشمخ بأنفه تكبرًا وغطرسة، ولا يميل بخده استكبارا وافتخارًا وعُجبًا، لأن الله يُبغض المتكبرين المتجبرين، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿37﴾﴾ (الاسراء: 37)

إن التكبر والتعالي على خلق الله لا يزيد المتكبر إلا انحطاطًا ووضاعة، وقد جاء في سنة النبي المصطفى: (أن من تواضع لله رفعه ومن تعالى على الله وضعه)[2]

كما أن التفاخر بالجاه والسلطان والمال والولد أمر مكروه مذموم (حيث لا فرق في الإسلام لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح)[3]

---

[1] - مأدبة الله في الأرض. أحمد جمال. دار إحياء العلوم. بيروت. ط 3. ص 286. 2012م

[2] - موطأ مالك. باب التعفف عن المسألة. كتاب الجامع (2/ 179/ 1212)

[3] - الجامع الصحيح. البخاري. باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. 6951

3_ لسان العرب. ابن منظور. حرف الصاد.(8|241) .دار صادر.بيروت.ط3. 2012م

4_ سير أعلام النبلاء. الذهبي.(5\362).دار السلام للنشر.القاهرة.ط1. 2010م

وقد قرر سبحانه في محكم التنزيل حقيقة أن الناس سواسية وأنهم مخلوقون من أب واحد وأم واحدة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾13﴿ (الحجرات: 13)

كما أن الناس بطبيعتهم وغريزتهم ينفرون من الفظ غليظ القلب، ولا يستجيبون لما يقول، فعلى الوالدين خاصة ثم المعلمين والدعاة أن يكونوا في تربية أبنائهم وشبابهم وطلابهم رقاق الأفئدة، لطاف الأخلاق، هينين متواضعين، يسود كلماتهم وتوجيهاتهم الرفق واللين، مع العفو عن المخطئ منهم، والاستغفار له وإشعاره بأنه ما زال ابنًا غاليًا، أو أخًا حبيبًا، أو صديقًا قريبًا.

2- البعد عن الخيلاء والتكبر:

لما كانت أبغض الهيئات هيئة المتكبرين اختير لها من الأشباه المرض البغيض.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾17﴿ (لقمان: 17)

ومعنى التصعيّر: "الميل والإعراض، وهي صفة المتكبرين، والتصعيّر من الصَعْر: وهو داء يصيب البعير فيلوي له عنقه" [3]

وفي المرح معنى الفرح والخفة والنزق، ونفوس الخلق تستهجن وتأنف ممن كان بعيدًا عن سمت الوقار والسكينة وضبط النفس، علاوة عن النهي عن ذلك." فعجبًا لابن آدم كيف يتكبر على الآخرين، وقد خُلق من نطفة مذرة، ويحمل في جوفه العذرة، وأن آخرته جيفة قذرة (4)

غضّ الصوت:

أخبر لقمان ابنه بأن أقبح الأصوات على الإطلاق وأزعجها صوت الحمير، والحمير تضرب دائمًا مثلًا للذم من جهات متعددة، كالبلادة وذل التسخير وإزعاج الصوت.

قال تعالى:

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾18﴿ (لقمان: 18)

فالقصد في المشي يعني التوسط والاعتدال فيه، والاعتدال في كل شيء هو المطلوب والمحمود، والإفراط والتفريط كلاهما مذموم في شرعنا الحنيف، لذلك أراد لقمان لابنه أن

لا يطلق صوته اغترار واعتزازا بشكل مزعج بغيض، ينبئ عن صلف وتكبر، لأن الجهارة والصخب الممقوت لا تخلو من الفظاعة والاشمئزاز الذي يشعر به كل من استمع لصوت الحمار أثناء نهيقه، لأنه يخرج أصواتًا مزعجة أثناء شهيقه وزفيره، على عكس المخلوقات جميعًا. "وأن صوت الحمار يفتقر للتدرج في الأصوات نزولًا وعلوًا، ولا يتقيد بنوته أو سلمًا موسيقيًا، فهو يُرسل كل المقامات دفعة واحدة مما يجعل صوته نشازًا بين كل الأصوات منكرًا مزعجًا قبيحًا)[1]

لذلك اعتبر لقمان أن الرفع بالصوت والجهر به لا يمت للأخلاق الفاضلة والتربية الحسنة بصلة، فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة، لما اختص بذلك الحمار الذي علمت خسته وبلادته، وأن في ضبط النفس، والغضّ في الصوت والرزانة مراعاة للمهابة والإجلال والتقدير من الخلق في الدنيا، والمغفرة والرضوان والقبول من الخالق سبحانه وتعالى في الآخرة.

ومن هنا يتضح جلياً أن منهج القرآن الكريم في توجيه الآباء لتربية أبنائهم، يعتمد على الترهيب من عقاب الله في الآخرة أولاً, ومن استهجان الفِطر السليمة لكل خُلق مخالف للشريعة ومنافٍ لقيم وأعراف المجتمع ثانياً, وكذلك الترغيب في كل خُلق من شأنه الُرقي بالمسلم إلى أعلى مراتب القيم الإنسانية التي ارتضاها له خالقه جل وعلا؛ ليكون جديراً بخلافة الله في أرضه.

الخاتمة:

إن لتربية الأولاد والبنات أهمية بالغة؛ لينفعوا أنفسهم وأسرهم ودينهم ومجتمعاتهم، لذلك لزم على الآباء أن يغرسوا في بيوتهم أشجارًا مثمرة تروى بماء التوحيد، وتحقن بجرعات نابعة من شريعتنا الإسلامية السمحاء، موافقة للكتاب والسنة؛ وليحاول الآباء أن يوجهوا الأبناء إلى صعود القمة حتى لو عجز الآباء عن ذلك، وعليهم أن يجمّلوهم بمكارم الأخلاق، فما أحسن التحلي بها، وما أعظم أجرها وثوابها، وما أخفّها على نفوس الكرام، وما أثقلها على نفوس اللئام، فمن خلال وصية لقمان لابنه اتضحت النتائج التالية:

1- حقائق وشبهات حول القرآن الكريم. محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. ط1. ص 164. 2010م

- يتضح أن منهج القرآن الكريم انجع المناهج التربوية إذا ما اعتمد عليه الآباء في تربية أبنائهم حسب أوامره ونواهيه .
- تردي الأخلاق على مستوى البشرية عمومًا وفي الأمة الإسلامية خصوصًا يمكن إصلاحه، إذا ما تم تطبيق ما أمر الله به، ونهى عنه في القرآن الكريم.
- غفلة أولياء الأمر خاصة الآباء والأمهات عن متابعة أبنائهم، وتركهم فريسة سهلة لمواقع الفساد ووسائل التواصل الحديثة، أمر خطير يسبب انحراف غالبية الجيل الحالي.
- الحكمة هي معرفة الحق والعمل به والإصابة في القول والعمل، وهي ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.
- تكاسل وتهرب الكثير ممن تقع عليهم مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من آباء ومعلمين ودعاة، يعد سببًا مباشرًا في انهيار المنظومة الأخلاقية.
- منهج القرآن الكريم واضح في وضع العلاج والوقاية من أزمة الفساد الأخلاقي لدى الابناء، إذا ما تم تفعيله بشكل صحيح من قبل الآباء.

التوصيات:

- على الآباء تربية أولادهم على التقوى والحلم والعفو والإيثار والإحسان والصدق والعلم والعدل والتواضع والتحلي بكل مكارم الأخلاق.
- على كل أب أن يبعد أبناءه وينهاهم عن الفخر والبطر والأشر والظلم والبغي والتجبر والعجب والخيلاء والحسد والدناءة وصغر النفس، وكل ما نهى عنه القرآن الكريم.
- مراقبة الأبناء من قبل الآباء خاصة في استخدامهم لأجهزة التواصل الاجتماعي التي ينتج عنها انسلاخ عن الهوية الدينية والاجتماعية في أغلب الأحيان.
- على الآباء أن يزرعوا في أبنائهم الاعتزاز بدينهم وهويتهم، واتباع تعاليم القرآن الكريم أمراً ونهياً، ويحذروهم من التقليد الأعمى، والاعتزاز بالقيم والحضارات المنافية لعادات وتقاليد المجتمع المسلم.

هذا ما ظهر للباحث من خلال هذه الوصية القرآنية المباركة والله أعلم وأجل وهو المستعان وعليه التكلان.

المصادر والمراجع

أولاً- القرآن الكريم وعلومه :

1. جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000م.
2. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م.
3. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ط 1، 1997م.
4. من وصايا القرآن الكريم، محمد البلتاجي، دار القاهرة، ط 3، 1997م.
5. مأدبة الله في أرضه، أحمد جمال، دار إحياء العلوم، بيروت، ط 3، 2012م.
6. نفحات في علوم القرآن، محمد أحمد معبد، دار السلام، القاهرة، ط 2، 2005م.
7. حقائق وشبهات حول القرآن الكريم، محمد عمارة، دار السلام، مصر، ط 1، 2012م.

ثانياً- كتب الحديث :

8. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تح: محمد فؤاد، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط 1، 1991م.
9. المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1990م.
10. صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر، دار طرق النجاة، ط 1، 1422هـ
11. سنن الترمذي، تح: أحمد شاكر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط 2، 2019م.
12. الموطأ، مالك بن أنس، مكتبة البشرى، ط 1، 1991م.

ثالثاً- كتب منوعة :

13. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين الدمشقي، دار السلام للطباعة والنشر، ط 1، 2005م.
14. التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ط 2، 1399م.
15. العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكه، دار القلم دمشق، ط 6، 1992م.
16. سير أعلام النبلاء، الذهبي، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط 1، 2010م.
17. أثر الإيمان في تحصين الأمة ضد الأفكار الهدامة، عبدالرحمن الجربوع، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط 1، 2003.
18. زاد المعاد، ابن القيم، دار ابن حزم بيروت، ط 3، 2019م.
19. الرحيق المختوم، صفي الدين المبارك فوري، الجامعة السلفية، الهند، ط 1، 1976م.

20. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ
21. تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، وزارة الإرشاد الكويت، ط 1، 2001م.